Journal Of the Iraqia University (66-1) March (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

اللهجات العربية بين الانتشار والانحسار

د. مصعب فاضل صالح

كلية الإمام الأعظم قسم الدعوة والخطابة والفكر تخصص نحو

Arabic dialects between spread and decline
Dr. Musab Fadhil Saleh
imam aadam college- Department of Call and Rhetoric and Thought Specialization syntax
msbfdl77@gmail.com

10.58564/MABDAA.62.1.2024.749

ملخص البحث:

إن هذا البحث يتناول اللهجات أو اللغات العربية, وما بينها من فروق واختلافات, كما يبيّن العوامل التي أثرت في انتشار طائفة منها, والعوامل التي أدّت إلى اختلافها وانحسار بعضها, كما يوضّح أهمية تأثير الجانب الديني –الإسلامي تحديدا– في لغة قريش وتأثر مختلف القبائل العربية بلغتها؛ إذ إنّ القرآن الكريم قد نزل بلغتها مما جعل لها ميزة الأفضلية والسيادة على غيرها من لغات الغرب وقد عنونت البحث بـ(اللهجات العربية بين الانتشار والانحسار)وقد توصّلت من خلاله إلى نتائج عدّة منها:إن للغة معانٍ عدّة إن للغة معان عدة, كاللهجة واللسان والمنطق.وهناك عوامل أدت إلى انتشار بعض اللهجات العربية كالعامل الديني والعامل الاجتماعي.وإن القرآن الكريم نزل على لغة أهل الحجاز, ولكنه قرئ باللغات السبع المشهورة عند العرب, كما يؤيد ذلك الحديث الشريف الذي ذكرته في البحث.هناك لهجات انحسرت أو انحسر قسم من ألفاظها , كالكشكشة والعنعنة والفحفحة وغيرها.**الكلمات المفتاحية: اللهجات . العربية . انتشار . انحسار**

Research Summary:

This research discusses Arabic dialects or languages, and the differences of variations between them. It also highlights the factors that have influenced the spread of some dialects and the factors that have led to it’s differences and decline. Additionally, it emphasizes the importance of the religious-Islamic aspect, specifically in the language of the Quraysh tribe and the influence of different Arab tribes on their language. The Qur'an was revealed in their language, giving it the advantage and dominance over other Western languages.I titled this research "Arabic Dialects Between Spread and Decline." Several conclusions were drawn from the study, including:- Language has multiple meanings, such as dialect, tongue, and logic.- There are factors that have led to the spread of some Arabic dialects, such as religious and social factors. - The Qur'an was revealed in the language of the people of Hijaz, but it was recited in the seven famous languages among the Arabs, as supported by the Hadith mentioned in the research.- Some dialects have declined or a portion of their vocabulary has declined, such as "kashkasha," "an'ana," "fahfaha," and others.**Keywords: dialects, Arabic, spread, decline**

المقدمة

إن عنوان هذا البحث هو (اللهجات العربية بين الانتشار والانحسار), وسبب اختياري لهذا الموضوع هو ما يتضمن من أهمية من نواحٍ عدة, فهو يعطي لمحة تاريخية عن اللهجات العربية, وطبيعة القبائل التي تتكلم بها, كما يُلمح إلى اختلاف مستوى اللهجات العربية, وتطورها وانتشارها أو انحسارها, كما يبين مدى تأثير الطابع الديني والاجتماعي فيها وإذا تأملنا العامل الديني استطعنا أن نرى بوضوح أنه كان السبب الأساس لاهتمام العلماء النحاة والقرّاء بها, وهذا يرجع لسببين رئيسيين, الأول: وجود البيت الحرام في شبه جزيرة العرب, وفي مكة تحديدا, والثاني: نزول القرآن الكريم باللغة العربية, وبلغة أهل الحجاز تحديدا. وأما من الناحية الاجتماعية؛ فإن وجود البيت الحرام في مكة جعل من منها مركزا لملتقى

القبائل المجاورة, ومركزا لملتقى القوافل التجارية, وعلى هذا فقد حظيت قريش بعناية خاصة من العرب والأعاجم الوافدين إليها من شتى بقاع الأرض, مما جعلهم يتأثرون بلغتها ويتعلمونها أو يتعلمون شيئا منها, وبعد مبعث الرسالة المحمدية ونزول القرآن وانتشار الإسلام زادت مكانة أهل مكة بين القبائل, وخاصة بعد أن أصبح حج البيت الحرام ركنا من أركان الإسلام, كما زادت مكانة لغتهم بين اللغات العربية وهذه الخصوصية التي حظيت بها قريش لم تحظَ بها القبائل المجاورة والبعيدة, لأسباب سأتناولها في هذا البحث مما جعل لغاتهم تميل إلى الانحسار أو التراجع.

وبعدفقد قسمت هذا البحث إلى مبحثين:المبحث الأول: وتناولت فيه الموضوعات الآتية: مفهوم اللغة, واستعمال النحاة للفظتي اللغة واللهجة, والعوامل التي ساعدت على انتشار اللهجات واستمرارها, وأثر القراءات القرآنية في انتشار اللهجات, وعناية النحاة بلهجات العرب.المبحث الثاني: وتناولت فيه: العوامل التي أدت إلى اختلاف اللهجات العربية, واللهجات المنحسرة, وميل بعض اللهجات أو بعض مفرداتها إلى الانحسار والله وليّ التوفيق ..

المبحث الأول

- **مفهوم اللغة**
- **استعمال النحاة للفظتي اللغة واللهجة**
- **العوامل التي ساعدت على انتشار اللهجات واستمرارها**
- **أثر القراءات القرآنية في انتشار اللهجات**
- **عناية النحاة بلهجات العرب**

اللهجات بين الانتشار والانحسار

مفهوم اللغة قبل الكلام عن اللهجات, تجدر الإشارة إلى التفريق بين مصطلحي اللغة, واللهجة من حيث الاستعمال, والإجابة عن التساؤل الذي قد يرد وهو: أيوجد ثمّة فرق بين الكلمتين من الناحية اللغوية من حيث استعمال النحاة لأي منهما للدلالة على لسان قبيلة من قبائل العرب أم أنهما متشابهان من حيث الدلالة المعنوية؟ وقبل الإجابة عن هذا التساؤل سأبدأ بالتعريف اللغوي لكل من اللفظتين.فاللهجة لغة: ((واللهْجة, واللهَجة: طرف اللسان, واللهْجة, واللهَجة: جرْس الكلام, والفتح أعلى, ويقال: فلان فصيح اللهْجة واللهَجة, وهي لغته الي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. الجوهري: لهِج بالكسر, به يلهج لهَجا إذا أغري به فثابر عليه.واللهْجة: اللسان, وقد يحرك)) (ابن منظور, د:ت, ٤٠٨٤/٤٦, والفيروزآبادي, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م, ٢٠٤,والفيومي, ١٩٨٧م, ٢١٣)واللغة لغة: ((واللغة: اللِسن, وحدّها: أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم, وهي فُعْلَة من لغوت, أي تكلمت, أصلها لُغْوة, ككُرَة, وقُلَّة, وثُبَة, كلها لاماتها واوات, وقيل أصلها لُغَيٌ, أو لُغَوٌ, والهاء عوض, وجمعها لُغىً, مثل بُرَة وبُرىً, وفي المحكم: لُغات, ولُغون)) (ابن منظور, د:ت, ٤٠٥٠/٤٥, والفيروزآبادي, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م, ١٣٣١).وهذا التعريف بـ((أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) هو ذات التعريف عند ابن جني في كتابه (الخصائص) (ابن جني, د:ت, ٣٣/١) ونلاحظ من خلال تعريفي اللغة واللهجة أن معنيهما متشابهان إلى درجة كبيرة, بحيث إن استعمال أحدهما قد يدل على الآخر ويوجد مصطلح اللسان, فهذا المصطلح يدل أيضا على اللهجة واللغة عند النحاة وعند العرب أيضاواللسان لغة: ((ابن سيده: واللسان: اللغة, مؤنثة لا غير, واللسان: الرسالة.وحكى ابن عمرو: لكل قوم لِسن, أي: لغة يتكلمون بها ... واللِسن: الكلام واللغة)) (ابن منظور, د:ت, ٤٠٣٠/٤٥, والفيومي, ١٩٨٧م, ٢١١)وكما نرى أنه لا يكاد يختلف تعريف اللسان عن تعريفي كل من اللهجة واللغة؛ فهذه التعريفات مترادفة. فأيما استُعمل منها فالمقصود والمعنى واحد.

استعمال النحاة للفظتي اللغة واللهجة:

إن النحاة القدامى قد استعملوا لفظة (لغة) للدلالة على ألسنة قبائل العرب المختلفة في كلامهم, ولم يستعملوا لفظة لهجة , وممن استعمل لفظة (لغة) من النحاة القدامى سيبويه فقد استعمل لفظة (لغة) في كتابه (سيبويه, ١٩٨٨م, ٥٢٩/٣, ١٢٥/٤)كما استعمل أيضا لفظة (لغة) المبرد في كتبه (المقتضب) (المبرد, ١٩٩٤, ١٨٨/٤)واستعمل هذه اللفظة (لغة) غيرهم من النحاة القدامى ممن جاؤوا بعدهم كابن جني في كتابه (المنصف) (ابن جني, ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م, ٣/١).وكتابه (الخصائص) حيث عرّف فيه اللغة فقال: ((أما حدّها: فإنها مجموعة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم, هذا حدّها)) (ابن جني, د:ت, ٣٣/١, والجرجاني,٢٠٠٤م ,١٦١)وقد ورد في القرآن الكريم استعمال لفظة (لسان) في مواضع عدة للدلالة على اللغة كوسيلة يتفاهم الناس بواسطتها, كقوله تعالى: **{ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه }** – [إبراهيم:٤]جاء في (المحرّر الوجيز): ((و(اللسان) في هذه الآية يراد به: اللغة)) (ابن عطية الأندلسي, ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م, ٣٢٣/٣, والسمين الحلبي, د:ت, ٦٩/٧)ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم)) (ابن كثير, ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م, ١٧٦/٨)وقال تعالى: **{**

بلسان عربي مبين } – [الشعراء:١٩٥], جاء في (مفاتيح الغيب): ((أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك؛ لأنك تفهمه ويفهمه فومك, ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك؛ لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها)) (الرازي, ١٩٨١م, ١٦٨/٢٤, والآلوسي, د:ت, ١٢٥/١٩) إذن اللسان من معانيه ودلالاته هو لغة يتفاهم بيها الناس عموما, وكون القوم الذين بُعث فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم عرب, فقد جاءهم رسولهم على لسانهم ولغتهم, وقد أُنزل القرآن الكريم على هذا اللسان, أي بلغة عربية واضحة مبينة لما يريد الله تعالى منهم.ومما ورد من الكلمات المرادفة لمعنى اللغة لفظة (منطق) كما في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: **{ يا أيها الناس علمنا منطق الطير }** – [النمل:١٦], يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا)) (ابن كثير, ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م, ٣٩٦/١٠) وجاء في (لسان العرب): ((نطق: نطق الناطق ينطق نطفا: تكلم. والمنطق: الكلام)) (ابن منظور, د:ت, ٤٤٦٢/٤٩) وجاء في (التحرير والتنوير) في تفسير الآية: ((وللطير دلالة في تخاطب أجناسها واستدعاء أصنافها والإنباء بما حولها ما فيه عون على تدبير ملكه وسياسة أمته, مثل استخدام نوع الهدهد في إبلاغ الأخبار وردها ونحو ذلك)) (ابن عاشور, ١٩٨٤, ٢٣٦/١٩-٢٣٧ ومن حاصل ما ذُكر في معنى الآية, أنها تدل على أن للطير منطق, أي: كلام ولغة يتمثل بأصوات يصدرها كوسيلة للتفاهم مع بعضه البعض, وأن سليمان عليه السلام قد عُلّم هذا المنطق واللغة فأصبح قادرا على التفاهم مع مختلف الطيور كما فهم الهدهد حين كلمه.والمنطق بحسب ما جاء في (لسان العرب) هو الكلام والكلام يتأتى عن طريق النطق, فهو أخص من اللغة من حيث المعنى؛ لأن اللغة لا تنحصر بمجرد النطق والكلام, فمن الممكن التفاهم من طريق الإشارة أو الإيحاء كما فعلت ذلك مريم عليها السلام مع قومها كما ورد في قوله تعالى: **{ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال أني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا }** – [مريم:٢٩-٣٠], فحينما أشارت إلى طفلها عيسى عليه السلام فَهِم قومها أنها تريدهم أن يكلموه, ودلالة فهمهم لها هو تعجبهم وسخريتهم من طلبها ومخاطبة عيسى إياهم وردّه على تساؤلهم (ابن كثير, ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م, ٢٤١/٩) كما ورد الإيحاء كوسيلة للإبلاغ في قوله تعالى: **{ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا }** – [مريم:١١], والذي خرج على قومه هو النبي زكريا عليه السلام, فأوحى أي: أشار وألمح إليهم أن يسبحوا في الصبح والعشيّ, أي: الليل (ابن كثير, ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م, ٢٢٠/٩) إذن فدلالة اللغة أوسع وأشمل من دلالة المنطق , حيث إنها لا تنحصر في النطق والكلام كما ذكرت.وإذا استقرأنا كلام النحاة القدامى فإننا نجد أنهم عبروا عن كلام العرب بالعموم بلفظة (لغة), كلغة تميم, ولغة الحجاز وطيّء وغيرهم, وأن استعمال لفظة (لهجة) محدثة, وإن استعمالها قريب العهد وليس قديما وبما أن هذا البحث يخص انتشار وانحسار اللهجات فسأتطرق إلى العوامل التي تؤثر على اللهجات العربية المختلفة فتجعل من بعضها منتشرا, والبعض الآخر منحسرا, ومن ثَمّ الإشارة إلى هذه اللهجات والكلام عليها.

العوامل التي ساعدت على انتشار اللهجات واستمرارها:

هناك عوامل عدة تساعد على انتشار لهجة ما أكثر من غيرها, حيث أن اللهجة قد تكون عرضة لمفردات دخيلة , كما تكون عرضة لموت مفردات داخلها حيث يترك أهلها استعمال هذه المفردات, بل وفي بعض الأحيان تطغى لهجة أخرى عليها, وهذا كله قد يحتاج إلى مدى زمني طويل لتحقق هذا التغيير في استعمال اللهجة من حيث استمرارها وانتشارها, أو انحسارها وانقراضها.

ومن العوامل المساعدة على استمرار اللهجة وانتشارها:

١- العامل السياسي.

٢- العامل الديني.

٣- العامل الأدبي.

٤- العامل الاجتماعي.وقبل مناقشة هذه العوامل, ومن باب الإيضاح, فقد يُقال لغة أهل الحجاز, ويُقصد بذلك لغة قريش, يقول مختار الغوث: ((لغة أهل الحجاز : وهو أشهر مصطلح يدل على لغة قريش في كتب التراث . فاللغة ترد إلى أهل الحجاز , وترد في أخرى معزوّة إلى قريش. ومن ذلك أن ثعلبا نسب (الهدْي) بالتخفيف إلى أهل الحجاز وبالتشديد إلى تميم, وقال أبو حيان: إن التخفيف لغة قريش, فخصص ما عمّم ثعلب.

وقال الأصمعي: إن (الوِتْر) يفتح أهل الحجاز واوه, ويكسرونها في الذحل ونسب الجوهري هذه اللغة إلى قريش ... ويرد في بعض المصادر ما يدل على ترادف (لغة الحجاز) و(لغة قريش) صراحة , وضمنا في حين آخر)) (مختار الغوث, ١٤١٨هـ-١٩٩٧م, ١٩-٢٠)ومن خلال النظر إلى هذه العوامل, نلاحظ أنه قد يُكتفى بعامل أو عاملين من هذه العوامل لانتشار اللغة واستمرارها وتثبيت جذورها (د. عبد الغفار حامد هلال, ١٤١٤هـ-١٩٩٣م, ٣٦)كالعاملين الديني والاجتماعي وتأثيرهما في لغة أهل الحجاز أو لغة قريش ؛ فإن قريش كانت قبل بعثة النبي محمد صلى

الله عليه وسلم تتمتع بمكانة اجتماعية سامية بين القبائل, ومما زاد في مكانتها وجود البيت الحرام في بقعتها المباركة مكة, وهي بذلك تعتبر ملتقى القوافل التجارية والحجيج من شتى البقاع المجاورة والبعيدة. كما أن مكانتها الاجتماعية مرتبطة بمكانتها الدينية, وهذا قد ساعد على انتشار لغتها وتثبيت جذورها بين القبائل العربية بشكل عام وبعد مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قريش ونزول القرآن على لغتها زاد ذلك من رفعة مكانتها دينيا واجتماعيا وأدبيا وسياسيا, أي اجتمعت وتظافرت عوامل عدة في تثبيت لغتها وانتشارها, حيث أن القرآن الكريم وإن كان قد قُرئ قراءات عدة وفق لغات العرب, فقد كان سمت لغته الأشهر هي لغة قريش ولسانها, ويقول مختار غوث فيما يخص القرآن الكريم: ((فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه منزل بلغة قريش , كما ثبت لصاحب البحث عدم وجود لغة مثالية مؤلفة من لغات عدة لغة قريش إحداها أو تخالفها. وثبوت ذلك يجعل نزول القرآن على قريش بلغة غيرها أمرا ليس له مسوّغ, ولا يتصور عاقل أن يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من قريش أن يقرؤوا القرآن بلغة غيرهم ولا فضيلة فيها بذاتها, ولا أن يكلفوا أنفسهم العنت بترويض ألسنتهم على نطق ما لم يألفوه لغير شيء وحين تختلف قراءات القرآن في القضية اللغوية بكون الاعتماد على قراءات قرّاء الحجاز الذين تلقّوا القرآن عن قريش وتأثروا بلغتها. لكن هذا يعترضه بعض الإشكال؛ فقد كان قرّاء الإقليم الواحد يختلفون في القراءات, بل كانت للقارئ الواحد أوجه مختلفة من القراءة قد تمثل أكثر من لغة. وفي الحق أن مخالفة القارئ الحجازي للغة قريش أمر مخالف للأصل, فالسمة الغالبة على قرّاء الحجاز موافقة خصائص اللغة القرشية, كتسهيل الهمز والفتح والإظهاروأكبر الظن أن سبب هذه المخالفة الرئيس هو تخيُّر القارئ من قراءات كثيرة ليكوِّن لنفسه مذهبا في القراءة مستقلا عن قراءات شيوخه, فيمزج ما روى عن القرشيين بما روى عن غيرهم, ولكن يغلب عليه ما روى عن قريش ؛ لأن جُلّ طرقه تنتهي إليهم, وتبقى في قراءته آثار من اللغات الأخرى. وهذا يمكن الاحتراز منه بالتعويل على الأدلة التي تثبت أن اللغة قرشية, كالنصوص القرشية وأقوال اللغويين)) (مختار الغوث, ١٤١٨هـ-١٩٩٧م, ١٥) ويتضح من هذا المقال أن لغة قريش لها السيادة في القرآن الكريم, وأن القراءة بلغات أخرى فيه لها ألا تخالف لغة قريش, وإن اختلفت بعض القضايا اللغوية فيها فإن قياسها يكون على الأصل وهو لغة قريش, هذا مع العلم أن القرّاء هم من أهل الحجاز, وإن أي مخالفة لهم في قراءاتهم يُعدّ خروجا على السمت القرشي الأصل وعلى هذا يمكننا أن نستنتج أن اللغة القرشية كانت لها الأولوية في قراءة القرآن, وأن اللغات الأخرى تبع لها في القراءة , وهذا ينتج عنه أمران, الأول: هو انتشار لغة قريش. والثاني: هو انحسار اللغات الأخرى وجعلها في مرتبة أقل أو أدنى من لغة قريش.وهناك أمر لا يجب إغفاله كسبب في جعل لغة قريش لها الريادة بين لغات العرب, وهو العصبية القبلية عند العرب عامة وعند قريش خاصة , ومما زاد من عصبيّتها, هو نزول القرآن على لغتها, يقول الدكتور عبد الغفار حامد هلال: ((وقد حاول الدكتور لويس الغض أن يرسم العصبية المتمثلة لهجة قريش؛ لأنهم آل النبي صلى الله عليه وسلم, ومنهم من نشأ فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة, وتمشى الشرف وتسرب إلى لهجتهم فجعلتها أفصح اللهجات جميعا, وجُعلت أساسا للغة التي نزل بها القرآن وتنوسيت جميع اللهجات الأخرى وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل, وكثير من المتأخرين في إثبات ما جاء في الصاحبي لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها, وكان عليهم أن يواجهوا مشكلة تعدد لهجات العرب التي كانوا يسمونها لغات في الموازنة مع لغة قريش التي نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش كانت أرقى لغات العرب, وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش, وبسبب سيادة بني قريش ولهجتهم بعد انتصار الإسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها)) (د. عبد الغفار حامد هلال, ١٤١٤هـ-١٩٩٣م, ٩٤-٩٥).

أثر القراءات القرآنية في انتشار اللهجات:إن للقراءات القرآنية أثرا بالغا في انتشار اللهجات العربية التي قرئت فيها, إذ إن القرآن الكريم وإن كانت لغته الأساس هي لغة قريش, وكانت هي اللهجة المعتمدة في نزوله, إلا أنه نزل على سبعة أحرف كما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أقرأني جبريل على حرف, فراجعته, فزادني, فلم أزل أستزيده, ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)) (منّاع القطّان, د:ت, ٢٥, ومحمد فؤاد عبد الباقي, ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م, ٢٩٣)والحرف هنا ويراد به اللغة, جاء في (لسان العرب): ((وما جاء في الحديث من قوله عليه السلام: (نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ)؛ أراد بالحرف اللغة, قال أبو عبيد وأبو العباس : نزل على سبع لغات من لغات العرب, قال: وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه, هذا لم يسمع به, قال: ولكن يقول: هذه اللغات متفرقة في القرآن, فبعضه بلغة قريش , وبعضه بلغة أهل اليمن, وبعضه بلغة هوازن, وبعضه بلغة هذيل, وكذلك سائر اللغات ومعانيها, وهذا كله واحد)) (ابن منظور, د:ت, ٨٣٧/١٠ – ٨٣٨, والفيروزآبادي, ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م, ٧٩٩).ومن خلال المعنى اللغوي للحرف ودلالته في الحديث الذي ذكرت, يتبيّن أن القرآن الكريم نزل على سبع لغات من لغات العرب المشهورةومن الآراء في المراد من الأحرف السبعة:

١- ((ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد, على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزّلا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد, وحيث لا يكون هناك اختلاف, فإنه

يأتي بلفظ واحد أو أكثر, فهي أوجه سبعة من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة بما يعرف بالاشتراك المعنوي, أو الترادف اللفظي, نحو: أقبل وهلمّ وتعال وأسرع وعجّل وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة, وعبد الله بن وهب, وابن جرير الطبري والطحاوي وغيرهم.

٢- الرأي الثاني: وقال قوم: إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن, على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم, فأكثره بلغة قريش, ومنه ما هو بلغة هذيل أو ثقيف أو هوازن أو كنانة أو تميم أو اليمن, فهو يشتمل على مجموعة اللغات السبع وهذا الرأي يختلف عن سابقه؛ لأنه يعني أن الأحرف السبعة إنما هي أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن, لا أنها لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعاني وإلى هذا ذهب أبو عبيد وثعلب والأزهري وآخرون)) (منّاع القطّان, د:ت, ٣٥-٣٨).وأيًا كان من الرأيين, سواءً كان المقصود من اللغات الترادف اللفظي في كلماته, أو استعمال اللغات بشكل عام, فهو قد أشرك القرآن في كلامه مع لغة قريش غيرها من اللغات العربية المشهورة, وهذا مؤدّاه إلى انتشار استعمال هذه اللغات بقصد التعبد في التلاوة, وهو الأساس, ناهيك عن القصد في تحرّي هذه اللغات ودراستها نحويًّا وبلاغيًّا, ومن ثَمّ المحافظة على هذه اللغات من النسيان والاندثار.

عناية النحاة بلهجات العرب لقد عني النحاة وعلى رأسهم سيبويه بلهجات العرب, والموازنة بينها, وذلك نلمسه من خلال استشهادهم بأشعار العرب وأمثلتهم ومفرداتهم على اختلاف لهجاتهم, وتقعيد نحوهم على أساسها, وأول كتاب وصل إلينا يُعنى بهذه اللهجات هو كتاب سيبويه, ثم تبعه النحاة من بعده في الشواهد الشعرية, والأمثلة العربية, والاستعمالات اللغوية, والمفردات سواءً كانت حروفا أم أسماءً أو أفعالا, والحركات فيها سواءً كانت إعرابية أم في بنية الكلمة. والنحاة البصريون والكوفيون في هذا المنحى سواء, وإن اختلفت بعض شواهدهم إلا أنهم لم ينفكّوا عن تداول أشعار من مختلف اللهجات العربية, المشهورة منها والشاذة مع تباين عنايتهم بها على حسب قوة اللهجة ونصوعها ومن الأمثلة على ذلك : ذكر سيبويه في المصدر الواقع بعد إلا: ((وقد ينصب أهل الحجاز في هذا الباب بالألف واللام؛ لأنهم قد يتوهمون في هذا الباب غير الحال, وبنو تميم كأنهم لا يتوهمون غيره, فمن ثَمّ لم ينصبوا في الألف واللام, وتركوا القبح, فكأن الذي توهم أهل الحجاز الباب الذي ينتصب؛ لأنه موقوع له, نحو قولك: فعلته مخافة ذلك. وذلك قولهم: أما النبلَ فنبيل, وأما العقلَ فهو الرجلُ الكاملُ , كأنه قال: هو الرجلُ الكاملُ العقلَ والرأيَ ... أما بنو تميم فيرفعون لما ذكرت لك)) (سيبويه, ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م, ١/٣٨٥-٣٨٦)هذا المثال يوضح الفرق بين لغة أهل الحجاز التي تنصب المصدر المحلّى بالألف واللام, وبين لغة تميم التي ترفعه, وإنما نصب أهل الحجاز دفعا للتوهم الذي قد يقعون فيه؛ فهو كما يعلل سيبويه ذلك أنه من باب الاحتراز عند أهل الحجاز. وأما تميم فكأنهم لا يقعون في ذلك الوهم الذي يقع فيه الحجازيون, فيرفعون المصدر المعرّف بـ(أل).ومن الأمثلة على الموازنة بين اللهجات المختلفة , لفظة (هنُ) , وهي من الأسماء الستة وهي أبو وأخو وحمو وفو وذو وهنُ: إن الأفصح في (هنُ) أن تعرب بالحركات الظاهرة على النون, نحو: (هذا هنُ زيد, ورأيت هنَ زيد, ومررت بهنِ زيد) , وهناك من العرب من يُتمّ, ولكنه قليل مع جوازه, نحو: (هذا هنوه , ورأيت هناه , ومررت بهنيه) , وقد أنكر الفرّاء جواز الإتمام, مع أن كلام سيبويه أدلّ بحكايته الإتمام عند العرب (ابن عقيل, ٢٠٠٤م, ١/٤٨-٤٩). في هذا المثال ذكر أن الأشهر عند العرب الإعراب بالحركات على النون في (هَنُ) , أي : بالضمة رفعا , وبالفتحة نصبا, وبالكسرة جرّا, والقليل عند بعض العرب من يُتمّ ويجعل علامة الرفع الواو , وعلامة النصب الألف , وعلامة الجرّ الياء. وأن من أعلام النحويين الكوفيين كالفرّاء قد أنكر جواز الإتمام, كما أن من أعلام البصريين كسيبويه قد أجازه على قلّته. ومما يلاحظ في هذا المثال أن عدم الإتمام لم ينسب إلى قبائل محددة بالأسماء, وكذلك الإتمام لم ينسب إلى قبيلة بعينها, وإنما اكتفى النحاة بذكر المشهور فيها من غير المشهور أو القليل منها. ولكننا نعلم من خلال هذا المثال أن اللهجات الشائعة والمنتشرة لا تتم هذه اللفظة, وهي الأساس الذي يقيس عليه عموم النحاة, بخلاف الشاذ والقليل في بعض اللهجات التي تعمد إلى الإتمام.أما بقية الأسماء, أعني: أبو وأخو وحمو وفو وذو ففيها ثلاث لغات : أشهرها أن تعرب بالحروف, بالواو رفعا, وبالألف نصبا, وبالياء جرّا, نحو: هذا أبوك, ورأيت أباك, ومررت بأبيك, وعلى هذا المثال قس بقية الأسماء الخمسة.

الثانية: أن تعرب بالألف مطلقا, نحو: (هذا أباك, ورأيت أباك, ومررت بأباك), كقول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

اللغة الثالثة وهي نادرة: أن تعرب هذه الأسماء بالحركات, الضمة, والفتحة, والكسرة, نحو: (هذا أبُك, ورأيت أبَك, ومررت بأبِك), أي: تحذف واو الرفع, وألف النصب, وياء الجرّ, ويُكتفى بالحركات على آخرها (ابن عقيل, ٢٠٠٤م, ١/٤٩-٥١)وهذه اللهجات الثلاث متدرجة من الشهرة إلى الندرة ونلاحظ أن النحاة القدامى قد أدركوا وعرفوا المشهور من اللهجات, ثم الأقل شهرة, ثم النادر منها, وأحصوها كلٌّ في باب من أبواب النحو مع ذكر الشواهد والأمثلة لتوضيحها وبيانها.

المبحث الثاني

- **العوامل التي أدت إلى اختلاف اللهجات العربية**
- **اللهجات المنحسرة**
- **ميل بعض اللهجات أو بعض مفرداتها إلى الانحسار**

العوامل التي أدت إلى اختلاف اللهجات العربية:من الضروري معرفة العوامل التي أدت إلى اختلاف اللهجات العربية, حيث يوجد بينها تباينا واضحا في كثير من مفرداتها واستعمالاتها اللغوية, ويمكن توضيح هذه العوامل من خلال ما ذكره الدكتور حسام النعيمي فقد قال ما معناه: كانت بين لهجات القبائل العربية فوارق واضحة, ومن يتصفح كتب اللغة يلمس ذلك بسهولة.وسبب ذلك الاختلاف في لهجات العرب يعود إلى انتشار القبائل على سطح الجزيرة الواسع المترامي الأطراف مع اختلاف طبيعته الجغرافية من وجود السهول والأودية والهضاب, وسلسلة جبال السراة في غرب شبه الجزيرة تمتد من شمالها غلى جنوبها, وبينها وبين البحر غور يبلغ عرضه خمسين ميلا على وجه التقريب, وكان يطلق على هذا الغور غور تهامة, وهو مسكن لقبائل عربية عدة, وكانت هذه السلسلة الجبلية تمثل حاجزا بينها وبين القبائل الأخرى الواقعة في شرقها, وتتخلل سلسلة الجبال هذه سهول ومناطق صالحة للزراعة استقرت فيها قبائل عربية كيثرب وينبع وخيبر. وقد تمتد بعض جبالها فتكون فوق مناطق صالحة للزراعة وكذلك الاستقرار كما في جبل غزوان الذي تقع عليه مدينة الطائف ومكة في الحجاز, غير أن لمكة وضعها الخاص؛ لوجود البيت الحرام فيهاأما اليمن في جنوب شبه الجزيرة فقد كان بعضها موطن استقرار وزراعة وبناء. وفي وسط الجزيرة هضبة واسعة فأطلق عليها نجد, ومعظم شبه الجزيرة صحراء, وأهلها بدو رُحّل, وعلى الساحل الشرقي للجزيرة بلاد اليمامة والبحرين حيث تكثر الأغوار والنجود ومسايل الأودية لقربها من البحر فأطلق عليها العروض , وكانت اليمامة عند ظهور الإسلام عامرة ذات مدن وقرى, إلا أن غالبية هذه الأراضي في العروض صحارى وسهول ساحلية, وبالابتعاد عن الساحل تواجهنا الصحراء المترامية برمالها وآكامها, ولذلك كانت غالبية القبائل الساكنة في العروض من البدو الرُحّل.ومن خلال هذا الوصف لسطح الجزيرة نرى مناطق الحضارة والاستقرار في مواضع من أرض الحجاز وتهامة واليمن, ومناطق البداوة في مواضع من نجد والعروض, وبسبب سعة سطح شبه الجزيرة واختلاف طبيعتها الجغرافية, كل هذه عوامل أدت إلى حد ما إلى تكوين حواجز بين قبائل العرب, وهذا كان له أثره الأكبر في محافظة تلك القبائل على ما كان يستجد عندها من الألفاظ واختلاف في الأصوات, وعدم نقلها ما يستجد عندها إلى القبائل الأخرى؛ فأدى ذلك بمرور الزمن إلى أن تتحوّل اللغة العربية الواحدة إلى لغات أو لهجات كثيرة متعدّدة (د. حسام النعيمي, ١٩٨٠م, ٧٨-٨٠).وعلى هذا فإن طبيعة شبه جزيرة العرب الجغرافية كانت العامل الأساس في انعزال القبائل بعضها عن بعض, وتحيّز لهجاتها وانحسارها بشكل عام. أضف إلى ذلك طبيعة القبائل البدوية ومعيشتهم القاسية, وعدم استقرارهم بحثا عن حياة ملائمة, مما أدى إلى انحسار لغتهم, وابتعادها نسبيا عن حياة التحضّر التي يتمتع بها غيرهم من العرب, كعرب الحجاز, وتهامة, واليمن.

اللهجات المنحسرة :إن عموم اللهجات التي انحسرت هي القبائل التي مالت إلى البداوة؛ فهي تجانف في طبيعتها اللغوية وفي فصاحتها لغة الحجاز التي تعد لغتها من أفصح اللغات العربية, بل هي معيار الفصاحة لبقية اللغات.ومن القبائل التي مالت إلى البداوة هما قبيلتان من قبائل اليمن كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((فنجد أن أقرب قبائل اليمن إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما: خثعم وزبيد, وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن)) (د. إبراهيم أنيس, د:ت, ٩٣).

ميل بعض اللهجات أو بعض مفرداتها إلى الانحسار :إن كلمة (انحسار) التي توصف بها لهجة من اللهجات لا تعني النسيان أو الاندثار بالضرورة, بل قد تستمر هذه اللهجة أو تلك لكن على نحو محصور في بيئة محددة, وذلك لأسباب عدة منها قلة الاختلاط, وصعوبة الألفاظ, أو ميلها إلى الشدة, أو اتباع صوت أو حرف غير مألوف عند الوقف. يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((فقد أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة سموها أحيانا بالكشكشة, وحينا آخر بالكسكسة, ثم اختلفوا في تبيانها, فقالوا مرة إنها قلب كاف المؤنثة شينا أو سينا في حالة الوقف, وفي موضع آخر قالوا إن هذه الشين أو السين لا تحل محل كاف المؤنثة, وإنما تلحق بها في حالة الوقف, وضربوا لهذه الظاهرة أمثلة من نثر أو شعر فقالوا: منش = منك, عليس = عليك, ورووا لشاعر هذا البيت مخاطبا الظبية:

فعيناشِ عيناها وجيدشِ جيدها ولكن عظم الساق منشِ دقيق

وحكى بعضهم أنه إعرابية تقول لجاريتها:

ارجعي وراءشِ فإن مولاشِ يريدشِ

ثم زعم بعض الرواة أن الكاف مطلقا سواء كانت لمؤنث مذكر تقلب سينا , في لهجة ربيعة يقولون : منس = منك. كما نسب بعض الرواة قلب الكاف مطلقا إلى شين في لهجة من لهجات اليمن, وقد سمع بعضهم في عرفة يقول: **لبيشَ اللهم لبيشَ** وسموا هذه الظاهرة بشنشنة اليمن)) (د. إبراهيم أنيس, د:ت, ١٠٦-١٠٧)وهناك فحفحة هذيل, وظاهرة العنعنة وهي لتميم وقيس عيلان؛ وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا (د. إبراهيم أنيس, د:ت, ٩٥-٩٦)وكما نرى أن هذه الظواهر اللهجية, وإن ثبت وجودها عند قبائل معروفة من العرب, إلا أن النحاة واللغويين اكتفوا بتدوينها دون استعمالها بسبب انحسارها, وأن المستعمل الشائع في الكلام والكتابة هي لغة الحجاز أو لغة قريش, وأن خط المصحف كتب بلغة أهل الحجاز وبرسم خطه.

الخاتمة

وأخيرا يتلخص من البحث ما يأتي:

- إن للغة معان عدة, كاللهجة واللسان والمنطق.
- ورد في القرآن الكريم بعض من هذه التسميات.
- هناك عوامل أدت إلى انتشار بعض اللهجات العربية كالعامل الديني والعامل الاجتماعي.
- إن لغة أهل الحجاز تُعد من أفصح اللهجات, أما بقية اللهجات كلهجة تميم وهذيل تبع لها.
- إن القرآن الكريم نزل على لغة أهل الحجاز, ولكنه قرئ باللغات السبع المشهورة عند العرب, كما يؤيد ذلك الحديث الشريف الذي ذكرته في البحث.
- لقد اعتنى النحاة وعلى رأسهم سيبويه بلهجات العرب, وذكرو الفروق بينها, وجعلوا الأساس في تقعيدهم لغة أهل الحجاز.
- هناك عوامل أدت إلى اختلاف لهجات العرب, كالعوامل الجغرافية في شبه جزيرة العرب, وطبيعة البداوة أو التحضر لبعض القبائل العربية.
- هناك لهجات انحسرت أو انحسر قسم من ألفاظها , كالكشكشة والعنعنة والفحفحة وغيرها.

قائمة المصادر

١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

٢- معجم التعريفات, علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ), تحقيق محمد صديق المنشاوي, دار الفضيلة, مصر-القاهرة, ٢٠٠٤م.

٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى السيد محمد ومحمد السيد رشاد ومحمد فضل العجماوي, وعلي أحمد عبد الباقي وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤- الخصائص, أبو الفتح عثمان بن جني, تحقيق محمد علي النجار, دار الكتب المصرية, مصر, [د:ت].

٥- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني, الدكتور حسام النعيمي, دار الرشيد, الجمهورية العراقية, ١٩٨٠م.

٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي, تحقيق أحمد محمد الخراط, دار القلم, دمشق, [د:ت].

٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، [د : ت].

٨- شرح ابن عقيل , عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت:٧٦٩هـ), تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الطلائع, مصر – القاهرة , ٢٠٠٤م.

٩- في اللهجات العربية, الدكتور إبراهيم أنيس, مطبعة أبناء وهبة حسان, [د:ت] .

١٠- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط٨/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

١١- الكتاب, أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر , تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجي, مصر – القاهرة , ط٣/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٢- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير, ومحمد أحمد حسب الله, وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، [د:ت].

١٣- لغة قريش, مختار الغوث, دار المعارج الدولية, المملكة العربية السعودية, ط١/ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٤- اللهجات العربية نشأة وتطورا, د. عبد الغفار حامد هلال, مكتبة وهبة, مصر – القاهرة, ط٢/ ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٥- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان, محمد فؤاد عبد الباقي, دار الآثار, ط١/ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي, تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتاب العلمية, بيروت-لبنان, ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٧- المصباح المنير, أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري, مكتبة لبنان, بيروت – لبنان, ١٩٨٧م.

١٨- مفاتح الغيب، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٩- المقتضب, أبو العباس محمد بن يزيد المبرد, تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة, دار إحياء التراث, مصر – القاهرة, ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٠- المنصف, أبو الفتح عثمان بن جني , تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين, دار إحياء التراث القديم, [د:م], ط١/ ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٢١- نزول القرآن على سبعة أحرف, منّاع القطّان, مكتبة وهبة, مصر – القاهرة, [د:ت].

The References:

1- altahrir waltanwira, muhamad altaahir abn eashur, aldaar altuwnusiat lilnashri, tunis, 1984.
hi), tahqiq muhamad sidiyq ٨١٦2- muejam altaerifati, ealiun bin muhamad alsayid alsharif aljirjaniu (t:
.m٢٠٠٤alminshawi, dar alfadilati, misr alqahirati,
3- tafsir alquran aleazimi, 'abu alfida' 'iismaeil bin kathir min aldimashqi (t:774hi), tahqiq mustafaa alsayid muhamad wamuhamad alsayid rashad wamuhamad fadl aleajmawi, waeali 'ahmad eabd almutabaqiy wahasan eabaas taraf, muasasat qurtibat, 1421h-2000m.
4- jini, 'abu alfath euthman bin jini, tahqiq muhamad ealiin alnajaar, dar alkutub almisriati, masr, [da:t].
5- dirasat allahajiat walsawtiat eind aibn jini, alduktur husam alnueaymi, dar alrashid, aljumhuriat .aleiraqiati, 1980m.
6- aldur almasun fi eulum alkitab almukawinu, 'ahmad bin yusif almaeruf bialmin alhalabi, tahqiq 'ahmad .[muhamad alkharati, dar alqalami, dimashqa, [da:t
7- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabeat almathani, mahmud alalusi albaghdadii, dar alturath alearabi, bayrut -lubnan, [dd : t].
8- sharh abn eaqil , eabd allh bn eaqil aleaqilii alhamdanii (t:769ha), muhamad muhyi aldiyn eabd alhamidi,
9- fi allahajat alearabiati, 'iibrahim 'iibrahim 'anis, matbaeat 'abna' .dar altalayiea, misr . alqahirati, 2004m wahbat hasan, [d:t].
10- alqamus almuhita, muhamad bin yaequb alfayruz abady, tahqiq maktab alturath fi muasasat alrisalati, muasasat alrisalati, ta8/ 1426 hi - 2005m.
11- alkitabi, 'abu bashar eamrw bin euthman bin qanbar, tahqiq eabd alsalam harun, maktabat alkhanji, misr - alqahirati, ta3/ 1408h - 1988m.
12- lisan alearabi, abn alhadafi, tahqiq eabd allah ealii alkabir, wamuhamad 'ahmad hasab allahi, wahashim muhamad alshaadhili, dar almaearifi, [da:t].
13- lughat quraysh, mukhtar alghutha, dar almaearij aldawliati, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta1/ 1418h - 1997m.
14- allahajat alearabiat mazalat, da. eabd alghafaar hamid hilali, maktabat wahbata, misr - alqahiratu, ta2/ 1414h - 1993m.
15- alluwlu walmarjan fima yataealaq bialshaykhani, muhamad fuaad eabd albaqi, dar alathar, ta1/ 1425h - 2004m.
16- almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza, 'abu muhamad eabd alhaqi bin ghalib bin eatiat al'andalsi, tahqiq eabd alsalam eabd alshaafi muhamad, dar alkitaab aleilmi, birut-lubnan, 1422h-2001m.
17- almisbah almunir, 'ahmad bin muhamad bin ealiin alfiuwmii almiqariyi, maktabat lubnan, bayrut - 1987 mi.
18- mafatih alghib, muhamad alraazi fakhr aldiyn bin dia' aldiyn eumra, dar alfikri, bayrut - lubnan, ta1/ 1401h - 1981m.
19- almuqtadabu, 'abu aleabaas muhamad bin yazid almubaradi, tahqiq muhamad eabd alkhaliq eudaymatun, dar altarathi, misr - alqahirati, 1415h - 1994m.
20- almunsifi, 'abu alfath euthman bin jini, tahqiq 'iibrahim mustafaa waeabd allah 'amin, dar alturath alqadimi, [da:mi], ta1/ 1373h - 1954m.
21- nuzul alquran ealaa sabeat 'ahrufi, mnnae alqttan, maktabat wahbata, misr - alqahiratu, [di:t].